
Indonesian Journal of Arabic Studies, Vol. 4 Issue 1, May 2022
Avaliable online at http://www.syekhnurjati.ac.id/jurnal/index.php/ijas/index
DOI : **10.24235/ijas.v4i1.9871**
Published by Departement of Arabic Language and Literature, Faculty of Adab
IAIN Syekh Nurjati Cirebon, Indonesia

The Politeness in The Poetry of Abu Al-Hasan Al-Husari Al-Qayrawani (Pragmatic Study)

التأدب في شعر أبي الحسن الحصري القيرواني (دراسة تداولية)

Sekou Kouyate *jelifama@gmail.com*
Department of Arabic Language,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

• ***Received:*** *20.01.2022* • ***Accepted:*** *01.03.2022* • ***Published online****: 30.05.2022*

Abstract: *The research aims to clarify the concept of politeness and its forms, and to shed light on the relationship of the phenomenon of politeness with other similar phenomena, such as politeness and differentiation between them, and to highlight the rules of the principle of politeness and the rules branching on this principle, and to explore the phenomenon of politeness in the poetry of Abu al-Hasan al-Husari al-Qayrawani, the blind, by monitoring models a function of it. The researcher used the inductive analytical method, that is, the method of careful reading of Al-Hosary's poems, and extracting and analyzing the evidence in which the phenomenon of politeness is evident. One of the most prominent results of the research was that the features of positive politeness emerged in the poet in many rules, including: tact, generosity, skepticism, approval, humility, courtship, and agreement, and each rule was enriched with meanings worthy of it from the researcher's point of view, as the features of negative politeness also emerged in different models as well, including: direct request, objection to others, sarcasm, objection and sarcasm together, self-defense, directing the recipient to observe the sanctity of self, the sanctity of belief, and threat.*

Keywords: *politeness, Arabic Poetry, Qayrawani, pragmatics.*

الملخص : يهدف البحث إلى استجلاء مفهوم التأدب وصوره، وتسليط الضوء على علاقة ظاهرة التأدب بغيرها من الظواهر المشابهة، مثل التهذيب والتفريق بينها، وإبراز قواعد مبدأ التأدب والقواعد المتفرعة على هذا المبدأ، واستكشاف ظاهرة التأدب في شعر أبي الحسن الحصري القيرواني الضرير، وذلك من خلال رصد نماذج دالة على ذلك. استخدم الباحث المنهج التحليلي الاستقرائي، أي منهج القراءة الدقيقة لقصائد الحصري، واستخراج الشواهد التي تبدو فيها ظاهرة التأدب جلية وتحليلها. وكان من أبرز نتائج البحث أن ملامح التأدب الإيجابي قد برزت لدى الشاعر في قواعد عديدة منها: اللباقة، والكرم، والتشكك، والاستحسان، والتواضع، والتودد، والاتفاق، وقد تم إثراء كل قاعدة بمعاني تليق بها من وجهة نظر الباحث، كما برزت ملامح التأدب السلبي في قواعد مختلفة أيضا، منها: الطلب المباشرة، والاعتراض على الغير، والتهكم، الاعتراض والتهكم معا، والدفاع عن النفس، وتوجيه المتلقي إلى مراعاة حرمة الذات، وحرمة العقيدة، والتهديد.

كلمات دلالية: التأدب، الشعر ،أبو الحسن الحصري القيرواني، التداولية

المقدمة

يتناول هذا البحث التأدب في شعر أبي الحسن الحصري القيرواني، وتعدّ هذه القضية من أهم قضايا اللسانيات التداولية الفلسفية قديما وحديثا، لارتباطها بدراسة المبادئ العامّة التي تحكم الاستخدام اللّغويّ من قِبل المتكلّمين. ويكتسب هذا البحث أهميته في أن العوامل النفسية لدى شعراء ذوي الإعاقة البصرية تختلف عما لدى الشعراء العاديين، فهذا البحث محاولة لتتبع ملامح ظاهرة التأدب في شعر الحصري الذي ينتمي إلى فئة العميان؛ وذلك بهدف الكشف عن هذه الظاهرة في شعره.

وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب عديدة منها: رغبتي الخاصة في قراءة شعر أصحاب العاهات والأمراض وإعجابي بأشعارهم، ومحاولة التعرف على خصائص ظاهرة التأدب في شعر الشاعر، وطرق تشكلها لديه. كما يسعى البحث للإجابة عن عدد من الأسئلة منها: ما ملامح التأدب في شعر أبي الحسن الحصري القيرواني؟ وهل لظاهرة التأدب قصائد الشاعر ميزة تتميز بها عن ظاهرة التأدب لدى الشعراء المبصرين؟ وهل كان للدين أثر في ظاهرة التأدب لدى الشاعر؟ وما أثر الدين في تأدب الشاعر؟

لم أعثر على دراسة تعنى بدراسة هذه الظاهرة في شعر أبي الحسن الحصري القيرواني؛ ولذلك رأيت الكتابة في هذا الموضوع لإعطاء صورة واضحة المعالم عنه. ولكنه مع انعدام الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة في شعر الحصري بشكل مباشر، فإن ثمة دراسات تناولت هذه الظاهرة لدى غير الحصري، ومن أبرزها:

دراسة بعنوان: (ظاهرة التأدب في كتاب: أدب الدنيا والدين، للماوردي)، أعدها: محمد مدور، 2015م. تناولت هذه الدراسة ظاهرة التأدب عند أبي الحسن الماوردي في كتابه: (أدب الدنيا والدين)، وكان من أبرز نتائج الدراسة أن أبا الحسن الماوردي قد أشار إلى أبعاد ظاهرة التأدب التداولية، وجعلها من شروط الكلام في كتابه، وختم هذه الشروط بذكر آداب الكلام، وهي الآداب التي قام التداوليون اليوم بشرحها، وتوسيعها، ووضع ضوابطها. على هذا النحو تعد هذه الدراسة بمثابة وضع أسس نظرية لظاهرة التأدب، وقد استفاد منها الباحث من الناحية النظرية.

دراسة بعنوان: (مبادئ التأدب في شعر أحمد مطر – دراسة تداولية)، أعدها الباحث: عبد الغفار فتاح حسن، 2020م. تناولت الدراسة مبدأ التأدب والمبادئ المنبثقة عنه، مثل مبدأ الوجه أو التواجه، ومبدأ التأدب الأقصى، وإسقاطها على نماذج منتقاة من شعر الشاعر العراقي أحمد مطر، وذلك وفق منهج وصفي تحليلي يستند إلى معطيات الدرس التداولي، لمعرفة المقاصد الحقيقية للشاعر من وراء استعمالاته اللغوية في خطابة الشعري. وكان من أبرز نتائج الدراسة أن الشاعر قد استعان بمبدأ التأدب والمبادئ المنبثقة عنه وشحن قصائدها بها، وغايته في ذلك تشكيل الرؤى التفاعلية والتواصلية بينه وبين متلقيه. تتفق

هذه الدراسة مع بحثنا الحالي من الناحية التطبيقية، ولكنها تختلف عنه من حيث المنهج؛ إذ المنهج المتبع فيها وصفي تحليلي، ومنهجنا استقرائي تحليلي. وقد استفاد منها الباحث من الناحية التطبيقية.

دراسة بعنوان: (تحليل مضمون الخطاب الشعري في قصيدة بانت سعاد: دراسة في ضوء استراتيجية التضامن)، أعدها الباحث: حسام محمد البطوش، 2021م. رصدت الدراسة مواطن الاستراتيجية التضامنية في قصيدة البردة لكعب بن زهير، وذلك للكشف عن الآليات التي وظفها كعب بن زهير في قصيدته، حيث راعى فيها مقام النبي الكريم، ومقامه هو نفسه بعد أن كان مهدور الدم. اعتمد البحث على منهج تحليل الخطاب، الذي تعد الاستراتيجية التضامنية الخطابية إحدى أدواته، والتي تعبر عن طبيعة العلاقة بين المنتج والمتلقي. وقد ظهرت ألفاظ التأدب والتلطف والاعتراف بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم في قلبه. تنسجم هذه الدراسة مع بحثنا الحالي من الناحية التطبيقية، ولكنها تختلف عنه من حيث المنهج المستخدم.

دراسة بعنوان: (شعرية العنوان: دراسة في البنية والوظيفة، شعر محمد الحمد وسليمان العتيق أنموذجا)، إعداد الباحث: عبد الله بن محمد الغفيص، 2022م. تناولت الدراسة أهمية العنوان في الأعمال الأدبية ومنها الشعر، واشتملت على الجانب النظري والتطبيقي للإجابة عن عدد من التساؤلات تدور حول مفهوم العنوان وأهميته في النقد الأدبي الحديث، وكذلك بنية تلك العناوين ودلالاتها ووظائفها في المدونة الشعرية موضع الدراسة. وكان من أهم نتائج الدراسة التي تتصل بظاهرة التأدب اتصالا وثيقا، أن العنوان قد اكتسب بعدا تداوليا، فأصبح المتلقي شريكا في إنتاج المعنى تأويلا واستنباطا لمقاصد النص ودلالاته، أي أن ثمة علاقة التفاعل والمشاركة بين المبدع والمتلقي. وتختلف هذه الدراسة عن بحثنا الحالي، في أنها لم تتناول قواعد التأدب التي سنتناولها في هذا البحث، وإن كانت قد أشارت إليها إشارة عابرة.

منهجية الدراسة :

أما المنهج الذي اتبعته فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يهدف إلى الكشف عن اطراد الظواهر وانطوائها تحت قوانين بعينها، ويعدّ التحليل إحدى إجراءات المنهج الاستقرائي، والتي من بينها الملاحظة وأدواتها المختلفة، وتصنيف المشاهدات في ضوء التحليل والمقارنة. وسوف سيتم تطبيق هذا المنهج على بحثنا هذا من خلال القراءة الدقيقة لقصائد الشاعر، واستخراج الشواهد التي تبدو فيها ظاهرة التأدب جلية، ومن ثمّ تحليلها.

النتائج والمناقشة :

تعريف موجز بالشاعر

هو علي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني (أبو الحسن) (Kahhalah, 1957)، ولد في حدود سنة 420هـ، وأصيب بآفة العمى في مرحلة طفولته المبكرة، لذا كثر وصفه بالضرير، توفيت أمه وهو

صغير، وتوفي والده وهو شاب بلغ سن الرجولة. كان في حياة الشاعر شيء من عدم الاستقرار الأسري والنفسي، ويتضح ذلك في فقده لوالديه، وفقده لبصره، ثم فراقه لزوجته، وهجرته إلى مدينة سبتة المغربية ومنها إلى الأندلس، ثم وفاة أعزّ وأحب أبنائه إليه صغيرا (عبد الغني)، الذي قال فيه الشعر الذي يفيض ألما وحزنا، ووفاة عدد من أبنائه(Ibrahim, 2009) .

كان أبو الحسن عالما بالقراءات وطرقها، وله قصيدة نظمها في قراءة نافع (Ibn al-Jazari, 2006)، وانحصر جلّ شعره في ثلاثة أغراض هي: الرثاء، والغزل، والمدح، على الترتيب، له أسلوب في البديع يميّزه عن غيره من الشعراء، حيث تجلّى عنده البديع في جميع صوره وأشكاله، لا سيما الجناس، ومن كثرة اهتمامه بالجناس أنه كان يجنّس قوافي أغلب مقطوعاته الشعر (Ibrahim, 2009)، وقد عارض كثير من الشعراء في القديم والحديث قطعته الشعرية الدالية الجميلة التي مطلعها:

يا ليلُ الصبُّ متى غدُه أقيامُ السَّاعةِ مَوْعِدُهُ

وقد حصل خلط بين أبي الحسن الحصري القيرواني، وأبي إسحاق الحصري صاحب كتاب (زهر الآداب)، فبعض الناس لا يميز بين الحصريين، فأبو إسحاق الحصري هو خال أو ابن خالة شاعرنا أبي الحسن الحصري القيرواني (Ibrahim, 2009)، توفي سنة 488هـ بطنجة (Al-Zirikali, 2002).

مفهوم التأدب وصوره:

أولا: مفهوم التأدب:

التأدب في القول، وتخير اللفظ، ظاهرة قديمة راسخة الجذور في التراث العربي، وازدادت رسوخا وسموا بنزول القرآن الكريم وانتشار البلاغة النبوية، وقام جانب من الدراسات اللغوية الحديثة بالعناية بهذه الظاهرة فقد اهتمت التداولية ليس بقواعد التبليغ فقط، بل بقواعد التهذيب أيضا.

وقد طرح العلماء العرب مباحث في ظاهرة التأدب آراء، وأسهموا بالتأليف فيها، نذكر منهم بشر المعتمد في صحيفته، فتعد هذه الصحيفة من أوائل الآثار المذكورة في توجيه الناشئة وتعليمهم أساليب الكتابة والخطابة، وتناقلت كتب الأدب والنقد والبلاغة بعض فقراتها، كل يأخذ منها بقدر ما يحتاج إليه موضوعه. والجاحظ في كتاب البيان والتبيين، وأبا هلال العسكري في كتاب الصناعتين، والغزالي في كتابه إحياء العلوم، وابن رشيق في كتابه العمدة، وابن سنان الخفاجي في كتابه في كتابه سر الفصاحة، وابن الأثير في كتابه المثل السائر، والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، وغيرهم.

ومن المحدثين نذكر الباحث طه عبد الرحمن في كتابه اللسان والميزان، وغيره من الدارسين مثل عبد الهادي بن ظافر الشهري في استراتيجيات الخطاب. كما اهتمت الأبحاث التداولية بهذا المجال (Meddour, 2015). يقول طه عبد الرحمن في سياق تعريف التأدب: " أما التأدب فمقتضاه أن يأتي

المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته القريبة، ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به، فلا يخفى أن هذا الضرب من التهذيب يولي أهمية في التخاطب لعملية التبادل"(Abdurrahman, 1998). نلاحظ في هذا التعريف تداخل مصطلح التهذيب مع مصطلح التأدب، وهو أحد المصطلحات القريبة من مصطلح التأدب مع وجود فوارق بينهما كما سنرى.

ويشير مفهوم التأدب لدى بعض الدارسين إلى تمييز نمطين من أفعال الكلام، الطلب المباشر وغير المباشر، والطلب غير المباشر ببساطة نوع من التأدب (Hassanein, 2011).

ويعدّ التأدب من بين أهم المصطلحات التي تتردد في الدراسات التداولية، وقد انتبه التداوليون إلى "مبدأ التأدب" وأهميته في إنتاج الفعل الكلامي، وتحقيق إنجازيته المنوطة به، فبلوروا الفكرة الأساسية التي يقوم عليها ضمن قواعد خاصة، ورأى بعضهم أن التأدب يعدّ الاساس الأول —إن لم يكن الوحيد —في استعمال القول غير المباشر، أو إنجاز الطلب غير المباشر، واعتبر بعضهم "مبدأ اللطف" (التأدب الأقصى) في الفعل الكلامي(Ibn Isa, 2019).

ثانيا: صور التأدب:

وصاغ (ليتش) مبدأ التأدب في صورتين، إحداهما سلبية والثانية إيجابية:

أ. **الصور السلبية هي**: قلل من الكلام غير المؤدب. ب. **الصورة الإيجابية هي**: أكثر من الكلام المؤدب (Al-Thewni, 2016). ويرى بعض الدراسين أن الوجه الجالب (الإيجابي) لمبدأ التأدب يكمن في استعمال الأساليب غير المباشرة في التخاطب، ويكون فيه تلطف وتودد، فهو يحدث الأنس والألفة، مما يسهم في إنجاح التواصل الإنساني. أما الوجه الدافع (السلبي) لمبدأ التأدب فهو رغبة الإنسان في ألا يعترض الآخرون على أفعاله، وهو مفهوم سلبي يستخدم فيه المتكلم التهكم والسخرية والتهديد والوعيد وأسلوب الأمر المباشر (Husein & Hussein, 2020)، ويمكن تمثيل ذلك بالذم بما يشبه المدح، والدعاء في مقام التهكم.

وذهب بعض الدارسين إلى أن لكل فرد وجهان، وجه إيجابي ووجه سلبي، أما الوجه الإيجابي فهو الواجهة والصورة الإيجابية التي نرسمها عن أنفسنا عند للآخرين، أما الوجه السلبي فهو متعلق بحرمة الذات، مثل الحرمة الجسدية والمكانية والزمانية والممتلكات الخاصة، والأخبار والمعلومات الخاصة، ومطالبة المخاطب بعدم المقاطعة في الكلام.(Al-Shareti, 2011)

بناء على ما سبق يمكن أن نستنتج أن التأدب الإيجابي هو إرادة جلب الاعتراف بالمستمع، فهو يتسم بالمجاملة والاحترام والتقدير، وفيه يتم إخفاء التهديدات وكأن المتكلم والمخاطَب ينتميان إلى مجموعة واحدة، حيث تتحد رغباتهما.

أما التأدب السلبي فهو إرادة الاعتراض على المتلقي، وعدم الاعتراف بحقه، وعدم احترام رغباته، ومن سلوكياته الاعتذار عن التدخل في الشؤون الخاصة وعن انتهاك الحرمة، ومن ضمن استراتيجياته: المباشرة في الرسائل دون مراعاة الوجه السلبي للمستمع.(Youseef, 2020)

المحور الثاني: الفرق بين التأدب والتهذيب والتخلق والتلطف:

بعد أن عرفنا التأدب يجدر بنا الإشارة إشارة عابرة إلى كل من التهذيب والتخلق والتلطف.

أولا: التهذيب: "وضع هذا اللفظ أصلا لإفادة معنى تعاملي وهو تقويم الاعوجاج والتربية الصالحة، ثم صار مستعملا في معنى تخليص الكلام مما يعيب وظيفته التواصلية أو التبليغية. فقيل: هذب الكلام، كما يقال (هذب الصبي)". (Meddour, 2015) وقد عرّف طه عبد الرحمن التهذيب بقوله: "التهذيب هو عبارة عن العمل يخلص القول الطبيعي مما يعيب دلالته وينزع عنه أسباب الانتفاع".(Abdurrahman, 1998)

فهذا يعني أنه ينبغي على المتكلم تقديم خطابه على الوجه المهذب الذي يتقبله المستمع ويستحسنه ليتحقق الانتفاع بين طرفي التواصل. وهكذا نلاحظ أن التأدب درجة من درجات التهذيب.

ثانيا: التخلق: " أما التخلق فمقتضاه أن يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته البعيدة، فضلا عن دلالته القريبة ويقوي أسباب الانتفاع الآجل به، فضلا عن اعتبار العاجل به"(Abdurrahman, 1998)، فواضح أن هذا الضرب من التهذيب يعلو على التأدب؛ لأنه يجمع بين الجهة البعيدة والجهة القريبة من الدلالة مع تقديم الأولى على الثانية، كما يجمع بين الجانب الآجل والجانب العاجل من الانتفاع، مع تقديم الجانب الأول على الثاني. (Abdurrahman, 1998)

ثالثا: التلطف: يقول (ستيف أولمان) عن ظاهرة التلطف في الكلام: "أنه وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعه"(Ullmann, 1997)، وقد ترجم المترجم الكلمة إلى (حسن التعبير)، فالتلطف من أهم الأساليب التي يعتمدها المتكلم لستر الأقوال التي تخدش الحياء العام في المجتمع (Ashour, 2016). نلحظ هنا ارتباط مصطلح التلطف بالمجتمع، بخلاف مصطلح التأدب الذي يرتبط عادة بالفرد، وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد علي الخولي في كتابة علم الدلالة (علم المعنى)، فالتأدب – كما يرى– شخصي، أما التلطف فهو جماعي، ومثاله تغيير التعبير: (الدوال المتأخرة) إلى التعبير الأكثر تلطفا: (الدول قليلة النمو)، ثم إلى التعبير الأكثر تلطفا أيضا: (الدول النامية).(Al-Khuli, 2001)

المحور الثالث: قواعد مبدأ التأدب والقواعد المتفرعة عليه:

أولا: قواعد مبدأ التأدب:

يرى بعض الدراسين أن مبدأ التأدب (التقرب) يتفرع عنه قواعد عدة هي:

1– قاعدة اللباقة: احرص على جلب النفع ودفع الضرر، أي: قلل خسارة الغير، وأكثر ربح الغير. ويرى (ليتش) أن قاعدة اللباقة بخاصة هي بمنزلة خطط ترفع كل ما من شأنه أن يوقع في النزاع ويمنع من التعاون، مثل تجنب الصيغ التي تنطوي على الأوامر والإلزام والقسر، إلى صيغ تنطوي على الرفق واللين والالتماس.

2– قاعدة الكرم والسخاء: أن تكون كريما سخيا، بحرصك على جلب النفع ودفع الضرر. أي:

- قلل ربح النفس، وفي ذلك دفع للأنانية. — أكثر خسارة النفس وفي ذلك سخاء وإيثار.

3– قاعدة الاستحسان: وتقول: لازم الإنصاف واحترز الاستصغار: وصورتاها:

- قلل ذم الغير. — أكثر الثناء على الغير.

4- **قاعدة التواضع**: وتقول: لازم الإنصاف واحترز الاستصغار، وصورتاها:

- قلل من الثناء على النفس ومدح الذات. — وأكثر من ذم النفس.

5– قاعدة الاتفاق: وتقول: اطلب الحق واجتنب التعصب، وصورتاها:

- قلل الخلاف بين النفس والغير. — أكثر الاتفاق بين النفس والغير.

6– قاعدة التعاطف: وتقول: اطلب الحق واجتنب التعصب وصورتاها:

- قلل التعارض بين النفس والغير. — أكثر التعاطف بين النفس والغير.(Al-Thewni, 2016)

ونلاحظ تداخل هذه القواعد بعضها في الأخرى، حيث لا يختلف قاعدة الاستحسان عن قاعدة التواضع، كما لا تختلف قاعدتا الاتفاق والتعاطف في مفهومها أيضا، وهكذا الحال مع قاعدتي الاتفاق والتعاطف، فهما أيضا تتفقان في المفهوم.

ثانيا: القواعد المتفرعة على مبدأ التأدب:

وقد فرعت (لاكوف) على مبدأ التأدب القواعد التهذيبية الثلاث الآتية(Al-Thewni, 2016; Meddour, 2015)

1- **قاعدة التعفف**: ومقتضاها لا تفرض نفسك على المخاطب؟؟؟. توجب قائدة التعفف على المتكلم ألا يستعمل من العبارات إلا ما يمكنه من حفظ مسافة بينه وبين المخاطب متجنبا الصيغ التي تحمل دلالة وجدانية مثل أفعال القلوب، ولا يحمله على فعل ما يكره محترزا من استعمال عبارات الطلب المباشرة، ولا يمكن استيفاء مقتضى التعفف إلا إذا اجتنبنا أن نبلغ المستمع كل ما شأنه أن يعارض إرادته أو يعوق رغائبه.·(Meddour, 2015)

2- **قاعدة التشكك**: ومقتضاها هو: أن تجعل المخاطب يختار لنفسه. فتقتضي بأن يتجنب المتكلم أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام، كما لو كان متشككا في مقاصده بحيث يترك للمخاطب مبادرة اتخاذ القرارات كأن يقول: (قد يكون من المفيد أن تفعل كذا)، بدل أن يقول: (ينبغي عليك فعل كذا).

3- **قاعدة التودد**: يقول طه عبد الرحمن موضحا هذه القاعدة: "أما قاعدة التودد فإنها توجب على المتكلم أن يعامل المخاطب معاملة الند للند، ولا تفيد هذه المعاملة إلا إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أو في مرتبة مساوية لمرتبته، ومتى قام المتكلم بشرط المعاملة بالمثل مستعملا لذلك الأدوات والأساليب والصيغ التي تقوي علاقات التضامن والصداقة بينهما نحو ضمير المخاطب والاسم والكنية واللقب، أنس به المخاطب أنسا، واطمأن اطمئنانا إلى ما يبديه له المتكلم من ثقة وعناية". (Abdurrahman, 1998)

والتودد من السامعين: ويكون بالحلم والتواضع لهم والوقار والوفاء والأمانة والنزاهة، فيبين الخطيب في مقاله أنه خال من الأغراض لا يسعى إلا لخير الجمهور.(Mouloud, 2017)

وعند مقارنة هذه القواعد الفرعية بقواعد التأدب الأساسية نلاحظ أيضا أنها تتقاطع مع بعضها كثيرا، إذ يمكننا دمج كل من قاعدة التعفف والتشكك في قاعدة اللباقة، إذا يشير كل منها إلى التأدب في الطلب، كما تختلف قاعدة التودد عن قاعدة الاستحسان كثيرا، فهما تشيران من ناحية إلى ضرورة تواضع المتكلم وتوقيره للمخاطب، إلا أن قاعدة التودد تختص أيضا ببعض الأمور منها إظهار علاقة الصداقة مع المخاطب، ونداؤه بألقابه وكنيته بغية الاتفاق معه، كما نلاحظ تقاطع مصطلح التلطف مع قاعدتي الاتفاق والتعاطف، إذ يشير كل منها من ناحية إلى الإكثار من الاتفاق مع الغير، من خلال تخفيف وقعة الكلام عليه، والتقليل من الكلام الذي يخدش الحياء في المجتمع.

وتتقاطع مجموع هذه القواعد بعض الشيء مع قواعد (التأدب) في الدراسات العربية، فمنها على سبيل المثال: الصدق في القول وتحري الحق، القصدية الأقصى التأدب، التلطف والتعفف والإخلاص في القول، والتواجه في القول، والجدية والابتعاد عن أشكال الهزل في القول.(Ibn Isa, 2019)

قواعد التأدب في شعر الحصري (دراسة تداولية):

أ. **التأدب الإيجابي:**

1. **اللباقة/ الكرم/ التشكك:**

- **اللباقة:**

وقد بدت قاعدة اللباقة في شعر الحصري، حيث قال:

من صحا عقله وصحّ سلا عن حبّ دنياه إنّه كان حوبا (Al-Marzūqī, 1973: 84)

هنا يتجلى التأدب الإيجابي في اللباقة وعدم الطلب المباشر، فقد بدأ الشاعر بذكر التيقظ من الغفلة وصحة العقل، ليكون ذلك مقدمة إل مبدأ الترغيب عن الدنيا الذي يحاول الشاعر تكريسه في ذهن المتلقي. إذ يتضح للمتلقي -بعد هذه المقدمة- أن التزهد في الدنيا من دلائل صحة العقل.

ومن الشواهد التي وظّف فيها الشاعر هذه القاعدة، قوله في الترغيب عن الهجرة خارج الوطن:

موت الكرام حياة في مواطنهم فإن هم اغتربوا ماتوا وما ماتوا (Al-Marzūqī, 1973: 487)

هنا يتمثل التأدب الإيجابي في اللباقة وعدم الطلب المباشر، وذكر سفاهة الشيء لألا يُلتفت إليه. فقد حثّ على الإقامة في الموطن، من خلال ذكر آثار الاغتراب السلبي، المتمثل في ضياع الثقافة الأصلية، أو التعرض لألوان من التحقير. فهو بهذه اللباقة يطلب من المتلقي البقاء في الوطن، ولكن بطريقة غير مباشرة، تاركا حرية اتخاذ القرار للمتلقي.

ويقول في سياق النهي عن التقليل من شأن الغواني:

أَرَى الْمَرْءَ أَدْنى مَا يَكُونُ مِنَ التُّقَى إِذَا عفّ خلْوًا مِنْ غِنى وَغوَاني (Al-Marzūqī, 1963: 173)

يتمثل التأدب الإيجابي في اللباقة، وعدم اللجوء إلى الطلب المباشر، فبدلا من أن ينهى الشاعر المتلقي عن الذهاب إلى الغواني، فإنه يربط هذا النهي بتقوى الله، وأن تجنبهن وتعففهن يدني المرء من التقوى، تاركا الحرية الكاملة للمتلقي، وتقرير ما يراه مناسبا. فهذا الطلب القائم على تجنب أساليب التقرير، يؤدي إلى عدم معارضة المتلقي، وعدم إعاقة رغائبه.

- **الكرم:**

وقد حاول أبو الحسن الحصري القيرواني تكريس مبدأ الكرم، من خلال مدح المتحلين بهذا الخلق الرفيع، فقال:

كرام ينابيع النّدى في أكفّهم إذا غرقوا ظنّوا بأنهم رشوا (Al-Marzūqī, 1963: 217)

هنا يتمثل التأدب الإيجابي في الكرم، وجلب النفع ودفع الضرر، فالممدوحون يسعون إلى نفع الناس، ولا يتباهون بعطاياهم، فهم إذا أعطوا كثيرا ظنوا بأنهم لم يعطوا شيئا، تجنبا للرياء، ورغبة في إعطاء المزيد. هنا يحث الشاعر المتلقي على بذل مثل هذا العطاء الخالي من الرياء والنفاق. يتميز هذا الشاهد بأنه يشتمل على لفظة (الكرم/ كرام)، التي يراد منها جلب النفع ودفع الضرر في مفهوم التأدب، ونماذج هذا في قصائد الشاعر كثيرة فقد تحدث الشاعر عن كل من الإيثار والجود، ومن المعلوم أن الكرم في أصل وضعه اللغوي والاصطلاحي إيجابي في جميع الثقافات؛ لذا سيكتفي البحث بهذا الشاهد.

- **التشكك:**

وقد وظّف الشاعر قاعدة التشكك في محاولته حثّ المتلقي على الوفاء، فقال:

ظعنتَ وقلبي في يديك وديعة فهل أنت للمستودعات حفوظ (Al-Marzūqī, 1963: 29)

هنا يتجلى التأدب الإيجابي في التشكك، إذ يتجنب الشاعر أساليب التقرير، ويأخذ بأساليب الاستفهام: (فهل أنت للمستودعات حفيظ؟)، وذلك لغرض تحريض المتلقي على حفظ وديعة الحب، وهنا يُظهر الشاعر انتماءه إلى المتلقي وكأنهما شيء واحد، ويذوب قلبه في قلبه فيتحدان.
كما وظفها أيضا لغرض تنزيه ابنه عن السّفه، فقال:

هجرتني أم شغلت عني حاشا رشيدا من السفاه (Al-Marzūqī, 1973: 486)

وهنا يتمثل التأدب الإيجابي في التشكك، حيث يحاول الشاعر تجنب خسارة المتلقي من خلال تحاشي أسلوب التقرير، واللجوء إلى التشكك في مقاصده، فبدلا من أن يواجه المخاطَب باللوم على هجره، فإنه يلتمس له عذرا، ويجعل حلمه وذكاءه كفيلا بعدم ارتكابه لمثل هذه الحماقات.

2. الاستحسان/ التواضع/ التودد:

- **الاستحسان:**

وقد وظّف الشاعر قاعدة الاستحسان لتكريس مبدأ العدل، وذلك من خلال مدح شخصيتين عظيمتين عُرفتا بالعدل في القضاء، والعدل في تقديم الفتاوى على وجهها الحقيقي، دون الانحياز إلى شخص أو طائفة، فقال:

رأيت العدل في بلدة فقيهها الشعبي قاضيها (Al-Marzūqī, 1973:124)

هنا يتمثل الاستحسان في إظهار الشاعر إنصاف الممدوحين، فهو يمدحهم ويكثر الثناء عليهم ليكون ذلك وسيلة إلى ترسيخ هذا المبدأ؛ إذ يشيد الشاعر بأهمية البلدة التي تتمتع بالحكام المنصفين، والفقهاء الموضوعيين.
وقد برزت هذه القاعدة في موضع آخر في شعر الشاعر، حيث مدح الشخصيتين مرة أخرى بالعلم والعدل، فقال:

بريّة ريّا روضة ورياض بها علما علم وأعدل قاض (Al-Marzūqī, 1973:123)

فهو يمدح الشخصيتين بالعلم والعدل، ويعترف بمكانتهما في تقدم المدينة التي عاشوا فيها وهي مدينة (رية)، وإعلائها بين المناطق الأخرى، إلى جانب طبيعتها الخلابة، وبستانها الجميل، وحديقتها الغنّاء.
وقد عبّر الشاعر عن قاعدة الاستحسان والإنصاف في الأمور، فقال:

هين لين في عزّته لكن في الحرب تشدّده (Al-Marzūqī, 1973: 145)

فهنا يبدو الممدوح لينا في الحالات الطبيعية، وشديدا في الحرب.

ومن صور الاستحسان الذي عبّر عنه شاعرنا، تصويره إنصاف (أحمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر)، فقد كان الممدوح يواجه معالي الأمور بمعاليها، ويقابل شدائدها بشدائدها، فقال:

فآثرت العوالي في المعالي وآثرت الصّلادم في الصّلاد (Al-Marzūqī, 1973: 117)

فهنا يشير الشاعر إلى توازن الممدوح في طلب الحق، واتخاذ القرارات

- **التواضع:**

وقد وظّف الشاعر قاعدة التواضع في سياق إشارته إلى الإنصاف مع الصغار، وعدم والاستهانة بهم قبل النظر إلى قيمتهم الحقيقية، فقال في رثاء ابنه:

رشدت قبل اكتمال عشر وازدنت بالحلم والوقار (Al-Marzūqī, 1973:. 446)

هنا يكمن التودد في الاعتراف بحق المخاطب والإكثار من الثناء عليه وعد استصغاره. فقد وصف الشاعر ابنه بالحلم والرزانة قبل أن يبلغ عشر سنين.

ومن الشواهد التي تتضمن قاعدة التواضع، وصف الشاعر ابنه برزانة العقل، والتأني في الأمور. فيقول:

فلا طيش فيه وابن عشرين طائش ولا عجل والآدمي عجول (Al-Marzūqī, 1973: 469)

هنا يبدو التأدب الإيجابي في قاعدة التواضع، حيث يحاول الشاعر الإكثار من الثناء على ابنه الصغير تجنبا استصغاره والاستهانة به، فهو على الرغم من أنه صغير السن، لكنه يتميز عن بعض الكبار بضبط النفس والتأني في اتخاذ القرارات. فهنا يعترف الشاعر بحق غيره ويقدره.

وقد وظّف الشاعر هذه القاعدة في سياق ذكره لأهمية ابنه الصغير، الذي وفقه الله لعمل الخيرات، فقال:

طهّره والكبير رجس يدنّس العرض والرّياطا (Al-Marzūqī, 1973: 469)

هنا يبدو التأدب الإيجابي في التواضع، حيث يدعو الشاعر إلى الإنصاف وعدم الانبهار بشكل الأشياء وأحجامها دون النظر إلى قيمتها الحقيقية، فقد أقام هنا موازنة بين الصغير الذي وفّقه الله وطهّره، وجعله قادرا على حفظ العرض، وبين الكبير الذي ظلّ يدنّس هذا العرض. ويشير الشاعر إلى عدم استصغار حجم الأشياء بقوله:

رأوك ضئيل الشخص واستعظموا السني ولا عجب إن الهلال ضئيل (Al-Marzūqī, 1973: 154)

هنا يتمثل التأدب الإيجابي في التواضع والإنصاف، وعدم استصغار الأشياء، فمن ملامح الظلم في هذا البيت الانبهار بحجم الأشياء دون النظر إلى قيمتها الحقيقية، فقد وصف ابنه بأنه كان عظيم

الشأن، رغم صغر سنّه، وأن عدم الاعتراف بأهمية مثل هذا الابن ظلمٌ في حقه، مشبّها ابنه بقيمة الهلال وقت طلوعه، وقيمته بعد أن يصير قمرا منيرا. واقد ستعمل الشاعر مثل هذا التأدب الإيجابي في موضع آخر، حيث قال:

فيقولون كل بدر هلال عند هذا وكلّ كهل غلام (Al-Marzūqī, 1963: 167)

فالبدر كان يوما ما هلالا، كما أن الكهل كان يوما ما غلاما؛ فلا شك أن ابنه كان سيكون له شأن في المستقبل.

- **التودد:**

ومما ورد من ذلك في شعر الحصري، قوله:

جادت سمائي بكوكب من أعتق أقمارها نتاجا (Al-Marzūqī, 1973: 461)

هنا يتمثل التأدب الإيجابي في التودّد، حيث يكني الشاعر ابنه بالكوكب، ومثل هذه الكناية المتميزة تنبئ عن علاقات التضمن والصداقة بين الشاعر وابنه. فلفظة (كوكب)، تورية، ويعنى بها -هنا- ابن الشاعر عبد الغني، الذي يعدّه شاذا بين أبنائه.

وقد بلغ التودد أسمى صوره في أن الجوامد من الشمس والسحاب والجيب، تشارك الشاعر حزنه على فراق ابنه عبد الغني، يقول الشاعر:

شقت الشمس عليه جيبه فبكى المزن معي والجيب شق (Al-Marzūqī, 1973: 201)

هنا يتجلى التأدب الإيجابي في التودد، ولعل الغرض من جعل هذه الجمادات تشاركه الحزن على فراق ابنه، هو إظهار علاقة صداقته مع هذه الجمادات أو تخليها حصول ذلك، لكن الأهم من ذلك هو أنه –بهذا التودد–يريد استمالة المتلقي وتوجيهه إلى الوقوف إلى جانبه، ومواساته في مصيبته.

ومما وظّف فيه الشاعر قاعدة التودد قيامه بتنزيه ممدوحه من تعاطي الخمر والمسكرات حقيقة، بعد أن ألمح إلى ذلك على سبيل المجاز، فقال:

صاح والخمر جنى فمه سكران اللحظ معربده (Al-Marzūqī, 1973: 143)

هنا يكمن التأدب الإيجابي في التودد، حيث استعمل الشاعر الأسلوب غير المباشر لوصف الممدوح، فبدلا من أن يذكر جماله الطبيعي بأسلوب مباشر، فإنّه شبّه هذا الجمال بالخمر المسكر، منزها المحبوب عن شربه، مما يسهم في إحداث الأنس بينه وبين الممدوح.

3. الاتفاق/ التلطف:

- **الاتفاق:**

وقد وظّف الشاعر قاعدة الاتفاق في مواضع كثيرة، منها إظهار تعلّقه بالمحبوب، سواء أحبه أم أعرض عنه. يقول الحصري:

قلى أو وداد أنتم موضع الهوى فلا سلوة عنكم وإن جلّ ما ألقى (Al-Marzūqī, 1973: 80)

هنا يشير الشاعر إلى الاتفاق مع المحبوب حتى في الحالات التي يظهر فيها هذا المحبوب الخلاف والتعارض، فهو يقابل هذا التعارض بالاتفاق.

وعبرّ الشاعر عن هذا الجانب من الاتفاق، وذلك في قوله:

رضيت به مولى على جور حكمه وقلت لقلبي اصبر لعلّ الهوى أجر (Al-Marzūqī, 1963: 22)

هنا يتمثل الاتفاق في ضبط النفس وإطاعة الظالم لتقليل الخلاف.

- **التلطف:**

وقد تمثل التلطف في شعر الشاعر في إظهاره مواساته لابنه عبد الغني أثناء مرضه، فكان يتخيل – تارة– أنه وابنه يتمرّغان في الدماء، ثم يفرّق بين نوعية دمه ودم ابنه، مخبرا أن خروج الدم من أنف ابنه المريض، كان يتزامن مع سيلان الدموع من عينه؛ تعاطفا مع مرض ابنه، ولعل الغرض من وصف الشاعر دموعه بالدماء، هو الدعوة إلى المواساة، والتعاطف مع المقام الذي كان هو فيه وابنه المريض. يقول الشاعر الحصري:

فكلانا في دم مشتحط فإذا يرعف أبكي بالحرق (Al-Marzūqī, 1963: 202)

هنا يبدو التأدب الإيجابي في التلطف، إذ يحاول الشاعر —في عجز البيت– تخفيف وقع الحادث عن المتلقي، وذلك من خلال تمييزه بين دم الكيانين، والتخفيف من وطأة الحدث على المتلقي، الذي ربما توهم –بعد سماعه لصدر البيت–: (فكلانا في دم مشتحط)، أن الشاعر قد تعفر مع ابنه في دم الموت، وأنهما قد ماتا في آن واحد الأمر يدعو للشفقة، ثم يتخفف وقع الحدث ودرجة الشفقة لديه بعد سماع عجز البيت، ويدرك أن المقصود من دم الشاعر هو بكاؤه على مرض ابنه المستعصي، وأنه ليس دما حقيقيا.

كما وظّف التلطف في سياق إظهار موقفه من الموت موقف المستسلم، فقال:

كتب الفناء على بني الدنيا فلم يسلم سليمان ولا بلقيس (Al-Marzūqī, 1963: 130)

هنا يتمثل التأدب الإيجابي في التلطف، إذ يحاول الشاعر تخفيف وقع حادثة الموت على المتلقي، من خلال استلهام شخصيات تاريخية وافتها المنية في كلامه، وهي شخصية (**النبي سليمان**) عليه السلام، وشخصية (**بلقيس**) ملكة سبأ.

وقد تكررت الإشارة إلى مثل هذا التأدب الإيجابي في مواضع كثيرة، فقد وصف الموت بأنه الشر الذي لم يجد الناس الأوائل له حلا، فضلا عن آخرهم، فقال مستدلا على حتمية الموت أيضا

آدم في التراب وهو بكر   وكلّ أبنائه سواء (Al-Marzūqī, 1973: 143)

فأبونا (**آدم عليه السلام**) ميت، وكلّ أبنائه –لا محالة– ميّتون.

كما أظهر عجزه التام عن إنقاذ ابنه من الموت، فقال:

صنتك إلا من المنايا   وليس من ريبها مناص (Al-Marzūqī, 1963: 266)

هنا يشبّه الشاعر الموت بكائن حيّ، ينصب حبائله لاصطياد الناس، ولا ينجو من ذلك الحبل أحد.

ب. التأدب السلبي:

1. **الطلب المباشر:**

وقد وظّف الشاعر التأدب السلبي المتمثل في الطلب المباشر، في قوله:

زيد وعمرو يهددانيز   فقم إلى سيفك الُجزار

زع ذا وذا عن أبيك وافخر   على العراقين والحجاز (Al-Marzūqī, 1963: 468)

هنا يتمثل التأدب السلبي في لجوء الشاعر إلى الطلب المباشر من ابنه: (قم، ذع)، فهو يطلب من ابنه أن يدافع عنه. ومع ذلك يمكن حمل هذا التأدب السلبي منحى إيجابيا، ليصبح من باب التودد؛ لأن المتكلم أعلى مرتبة من المخاطب، بل هو أبوه، لذا فإن هذا الأسلوب بدلا من أن يكون سلبيا، فإنه يقوي علاقة الصداقة بين المتكلم والمخاطب.

وقد وظّف الشاعر الطلب المباشر في سياق مطالبته المحبوب بالإنصاف مع حبيبه:

قضاة الهوى والله يسألكم غدا   عن العاشق المسكين ما باله يشقى

قفوا، فانصفوا من عاذ من جوركم   ولم يستطع صبرا على عدم الملقى (Al-Marzūqī, 1963: 33)

هنا يوجه الشاعر الطلب إلى المحبوبة، ويأمرها بالإنصاف مع العاشق، وأن ترفق به أثناء الحكم عليه بقبول الحب أو رفضه، لأنها ستسأل عن التعاسة التي تسببها إلى هذا العاشق المسكين الذي يستحق اللطف. فهو هنا يدعو إلى مبدأ الاستحسان والإنصاف.

2. **الاعتراض على الغير:**

وقد وظف شاعرنا قاعدة الاعتراض على الغير في شعره فقال:

متى يشتكي المشتاق ممن يحبّه وهل تنفع الشكوى إلى غير راحم (Al-Marzūqī, 1963: 36)

هنا يتمثل التأدب السلبي في الاعتراض على تصرفات الشخصية القاسية، والسخرية منها، فهي ليست أهلا لقبول الدعاوى والشكاوى. هنا يميز الشاعر بين الشكوى النافعة، والشكوى غير النافعة، حيث تكون الشكوى ناجعة عندما يتوجه بها المشتكي إلى كريم، راحم، يسعى لخدمة المحتاجين.

كما تناولها أيضا في سياق إنكاره للغدر والمكر والخداع، فقال عن الدنيا:

وأي أب يدير على بنيه رحى ليطحنها
رأينا أشجع الفرسا ن عند الموت أجبنها
فيا ما أخدع الدنيا وأخبثها وأفتنها
وأقطعها إذا وصلت محبيها وأخونها
وأودأها لمولود تنشب فبه برثنها (Al-Marzūqī, 1963: 177)

ها يبدو التأدب السلبي في الاعتراض على تصرفات الدنيا، وإظهار تناقضاتها ومكرها وعدم وفائها بالوعود، فالدنيا –بهذه الصفات – رمز للشر في نظر الشاعر. ولعل الغرض من هذا التأدب السلبي هو تنبيه الغافلين عن السقوط في شَرَك الدنيا ومكائدها.

لكن هذه الأبيات من ناحية أخرى، يمكن تحتوي على تأدب إيجابي –خصوصا اللباقة – حيث إن تقديم الشاعر للدنيا من وجهة نظر سلبية؛ يراد به جلب النفع للغير، وتجنب خسارته في أمر تافه ذي مزاج متقلب مثل الدنيا. وعلى هذا النحو كان الشاعر يلج إلى الدهر، ويصف مزاجه المتقلب.

ولكنه من ناحية أخرى، كان يحاول إيجاد مبرر إيجابي لتصرفات الدهر، إذ يرى أن الدهر لم يكن له أن يصيبه بشيء من السوء والشر دون قضاء الله وعدله، فيقول في رثاء ابنه:

ما عقني الدهر ولا عاقني الله أبلى وقضى القسطا (Al-Marzūqī, 1963: 137)

ونجده أيضا يرجو الله أن يسامح هذا الدهر، شريطة أن يردّ شمل المحبين، ويريح كل قلب متوعك متألم. يقول الحصري:

عفا الله عن ذا الدهر إن ردّ شملنا وشعّب منا كل قلب مصدّع (Al-Marzūqī, 1963: 30)

3. التهكم:

وقد وظّف الشاعر قاعدة التهكم للحدّ من فكرة التفاضل بين الطبقات الاجتماعية، فقال:

فكرت في خلق الورى فاستوى عندي عبيد وسلاطين
أصل الفريقين –ومن أجل ذا قلبي عن الهم سلا – طين (Al-Marzūqī, 1963: 74)

هنا يُذكّر الشاعر بأصل البشر الذي هو الطين، تنشيطا للعقل لألا يلتفت إلى المفاضلة بين الطبقات الاجتماعية، فكلها مخلوقة من الطين.

كما وظف هذه القاعدة كسلاح للنيل من الحساد، وعدم الاهتمام بما يصدر منهم من الشتائم والتهم، فقال:

خلعت عذاري في الملاح ولم أبل بما يفتريه حاسد لي لاطخ

خليون يلحون الشّجي على الهوى وليس لأحكام الحبة ناسخ (Al-Marzūqī, 1963:19)

هنا يؤكد الشاعر على أنه لا يلتفت إلى أقوال الحسّاد، ولا يهتم بشتائمهم، فالحبّ أمر محتوم لا ملاذ منه.

وقد أكّد على هذه القاعدة في أبيات أخرى، منها قوله:

ظهرت على الحساد في الفضل إنني صميم وكل الحاسدين وشيظ (Al-Marzūqī, 1963:29)

فالشاعر معتد بنفسه واثقا من قدراته لا تضره الكلمات القبيحة التي تحاول النيل منه حقدا وحسدا. كما أشار إلى أن الحاسد ملغي في المجتمع لا يكترث به أحد. وهذا النوع من التأدب السلبي كفيل بأن يراجع الحاسد نفسه، ويصلحها.

كما وظّف قاعدة التهكم للاعتراض على تصرفات الأحباب والنيل منهم، فقال:

بكت رحمة للصب عين عدوه فما لحبيب القلب لا يرحم الصبا (Al-Marzūqī, 1963:14)

هنا يحاول الشاعر من خلال التأدب السلبي المتمثل في التهكم بتصرفات الأحباب من ناحية، وتوجيههم إلى ما يجب عليهم الالتزام به، من إظهار الوفاء للعشاق، والبكاء من أجلهم من ناحية أخرى، ولتكريس هذا المبدأ لجأ إلى تذكير الأحباب بالأعداء الذين يشاطرون –رغم عداوتهم– العشاق معاناتهم، ويلطفون بهم بالبكاء، فمن الأولى أن ينال هؤلاء العشاق عناية أحبابهم، ويحظوا ببكائهم العاطفي. وفي بيت آخر، يعاتب الشاعر على أقربائه الذين لم يستطيعوا مواساته بالبكاء، فقال:

تاهوا فلم يسعدوا بدمع أين المصافاة والمتات (Al-Marzūqī, 1963:459)

4. **الاعتراض والتهكم:**

وقد جمع الشاعر بين الاعتراض والسخرية في بيت واحد، حيث بدا الشاعر وفيا حتى مع أولئك الذين يخونونه في الحب، ولا يلتزمون بوعودهم. يقول الحصري:

لآخر عهدي مثل أوّله لكم وإن كنتم لا تحفظون خليلا (Al-Marzūqī, 1963:40)

يتمثل التأدب السلبي في السخرية من المتلقي والاعتراض على تصرفاته، حيث بدت شخصية الشاعر أفضل من شخصية المخاطب من ناحية الوفاء بالعهود والوعود. وهنا يلجأ الشاعر إلى التواضع والاتفاق مع غيره من الخونة، على الرغم من إعراضهم عنه، وخيانتهم له.

ومما ورد من ذلك أيضا ثناؤه على ذاته بالوفاء:

لأنتم وإن خنتم مواثيق عهدنا أحبّة قلبي لا أريد بديلا (Al-Marzūqī, 1963:40)

فهو يتغاضى عن أخطاء أحبائه حتى في أقبح الأخطاء التي تبدر منهم، مثل الخيانة. هنا يلجأ الشاعر إلى المبالغة من أجل تأكيد الحب، وهذه المبالغة المبنية على الاعتراض والسخرية، يمكّن الشاعر من الاستحواذ على معتقدات المتلقي، وتغييره نحو الأفضل.

وقد صوّر الشاعر الأَمة التي اعتنت بابنه عبد الغني بعد وفاة أمه بأنها كانت مخلصة في تربيته، فقال:

ألفته مثل ما آلفها وأحبته اعتقادا لا ملق (Al-Marzūqī, 1963:52)

هنا يكمن التأدب السلبي في الاعتراض على غير المخلصين في تربية العجايا الذين فقدوا أمهاتهم والسخرية من أفعالهم، فهم يُظهرون الود، ويبطنون البغض والكره تجاه مثل هؤلاء الأولاد. وفي المقابل كان حب تلك الأمة حبّا خاليا من النفاق (وأحبته اعتقادا لا ملق).

ويقول في سياق التهكم بعدم متذوقي الهوى والاعتراض على تصرفاتهم:

لَآخِرُ عَهدي مِثل أَوَّله لَكُم وَإِن كُنتُمُ لا تَحفَظونَ خَليلا

لَأَسعَفتُمُ المُشتاقَ لَو ذُقتُمُ الهَوى فَأَحيَيتُمُ بِالوَصلِ مِنهُ قَتيلا (Al-Marzūqī, 1973:52)

يكمن التأدب السلبي في البيت الاول في الاعتراض على تصرف المتلقي، إذ يصف نفسه بأنه يفي بعهد المتلقي وإن لم يبادله المتلقي هذا الوفاء. كما يبدو التأدب السلبي أيضا في البيت الثاني في تهكمه بتصرفات المتلقي العاذل، حيث يعلّل إساءته إلى المشتاق، وعدم إسعافه له، بعدم تذوقه للهوى، وعدم مكابدته لآلام العشق وعذابه.

5. **الدفاع عن النفس:**

وقد امتدح الشاعر تحمّل الحبيب، والصبر عليه، والتذلل له، ورأى ذلك من ضرورات الحبّ الذي لا يمكن أن ينفلت منها أي عاشق، كل ذلك من أجل الدفاع عن نفسه فقال:

لأستحسنّ الذل في طاعة الهوى وأي محبّ لا يعيش ذليلا (Al-Marzūqī, 1973:40)

هنا يتمثل التأدب السلبي في محاولة الشاعر الدفاع عن نفسه من خلال تعميم صفة الإذلال على جميع العشاق؛ كي لا يجد المتلقي سبيلا إلى الطعن في شخصيته.

ومن الشواهد التي تحمل روح الدفاع عن النفس، قول الشاعر معللا الغرض من عدم نظره إلى محبوبه، فيقول:

غضضت جفوني عن سناه مهابة وفي القلب شيطان من الحب نازغ (Al-Marzūqī, 1973:31)

يتمثل التأدب السلبي في محاولة الشاعر الدفاع عن نفسه، والتصدي لاعتراض المتلقي على أفعاله، فبادر إلى بيان السبب من عدم نظره إلى نور المحبوب، ليظهر أن الغاية من ذلك هو تعظيم هذا المحبوب وتقديره، وليس الهدف منه تحقير هذا المحبوب أو الاستخفاف به. فعدم النظر إلى عيون الكرام مباشرة بطريقة مباشرة يعد من الأدب الحسن في نظر الشاعر.

وقد حاول الشاعر الدفاع عن نفسه من خلال البرهنة على أقواله، فقال:

ولا عجب لجوهرتي أليس البحر معدنها

ألست أباه وهو ابني وأنه ذاك برهنها (Al-Marzūqī, 1973:175)

هنا يحاول الشاعر البرهنة على أقواله، ليكون ذلك سدا لباب الانتقادات والاعتراضات التي سيواجهها. فقد برهن على صلاح ابنه؛ لأنه هو من رباه بنفسه، وكان له قدوة حسنة. وقد تكرر التعبير عن هذا الجانب في شعره في مواضع كثيرة.

كما برزت قاعدة الدفاع عن النفس لدى الشاعر في محاولته تمييز بكائه الصادق، عن بكاء الباكين الآخرين، فيقول:

أفاقت من الثكل البواكي ولم أفق بل ازددت ليس الطّبع مثل التكلف (Al–Marzūqī, 1973:196)

يتثمل التأدب السلبي في محاولة الشاعر جذب المتلقي إلى الاعتراف بطبعه الحسن وسمته الطيب، فهو يختلف عن غيره من الباكين الذين يتكلفون بالبكاء، وينسون أحبابهم بين عشية وضحاها، بأنه يبكي ليزداد حزنا على فراق أحبابه يوما بعد يوم.

وقد وظّف هذه القاعدة في سياق إشارته إلى خطورة الكذب وتدنيس الأعراض، فقال محاولا الدفاع عن نفسه:

مالي ذنب فتعاقبني كذب الواشي تبّت يده (Al-Marzūqī, 1963: 148)

استعمل الشاعر التأدب السلبي عن طريق توجيه الخطاب إلى المتلقي بطريقة مباشرة، محاولا الاعتراض على ظلمه له من دون وجه حق، فهو –بهذا الخطاب المباشر– يحاول تنزيه نفسه من أقوال الوشاة الكذبة، الذين اتهموه بالباطل.

6. **مراعاة الحُرمات:**

- **حرمة الذات:**

ومن ورد من ذلك في شعر الحصري، قوله:

وددت بأن ألقى من الناس منصفا إذا قلت حقا قال لي أنت صادق (Al-Marzūqī, 1963: 135)

هنا يوجه الشاعر المتلقي إلى مراعاة حرمة ذاته، وقبول الحق منه، وعدم اعتراضه إن كان على الحق، وأن يعترف بحقه.

وقد حاول الشاعر إثبات شخصيته من خلال وصفها بالحلم رغم كونها شديدة الطبع، فقال:

ظعنت يا ابني فذاب قلبي وربّما رقّت الغلاظ (Al-Marzūqī, 1963: 471)

هنا يحاول الشاعر الدفاع عن نفسه من خلال إثبات شخصيته أمام المتلقي، فهو يظهر شخصيته الطبيعية المتمثلة في القوة والحلم والتحمّل، وشخصيته العرضية المتمثلة في الرق والضعف بعد وفاة ابنه، كل هذا لألا يطعن المتلقي في شخصيته الحالية.

وقد وجّه الشاعر المتلقي إلى الاعتراف بشخصيته، فقال:

وصول قطوع ذو عفاف وذو غفو ولا بد لي منه على المر والحلو (Al-Marzūqī, 1963: 111)

فهنا يحاول الشاعر إظهار شخصيته للمتلقي، وأنها تشتمل على صفة العفاف، والعفو، والصبر، وتحمّل الصعاب.

وقد وجّه الشاعر المتلقي إلى احترام حرمته الانفعالية، وذلك عندما أشار إلى أنه حرّ في أن يتحلى بالصبر في الأماكن التي يرى فيها الصبر ممكنا، وهو حرّ أيضا في أن يتخلى عن الصبر في المواضع التي يرى الصبر فيها مستحيلا. وأرى أنه ليته صبر في جميع الأحوال، لا سيما عند المصائب الكبرى مثل مصيبة فقدان الأب والولد، والتي تخلى عن الصبر فيها. يقول الشاعر:

صبرت للدهر إلا عند فقد أب وابن فداؤهما نفسي وأقوامي (Al-Marzūqī, 1963: 161)

ويقول أيضا:

لست أرى الصبر عن ربيع طاب الضحى منه والأصيل (Al-Marzūqī, 1963: 261)

ويقول أيضا:

دفنت قلبي وسحن صبري فأين مني قوى الجليد (Al-Marzūqī, 1973:250)

ويقول أيضا:

لا أدعي الصبر إن قلبي كان من الصخر فاستحالا (Al-Marzūqī, 1963: 448)

فالصبر عنده —كما يبدو– يقف عند حدّ أهون المصائب دون عظائمها.
ويقول في سياق تنزيه نفسه عن النيل من أعراض الناس الطيبين:

حاشا أدبي وسنا حسبي من ذم كريم أحمده (Al-Marzūqī, 1963: 141)

هنا يدعو الشاعر المتلقي إلى تقديس حرمة ذاته، فهو ذو طبع حسن يتمالك من شتم الكرماء وأصحاب المقام السامي.

- **حرمة العقيدة:**

ومما ورد من ذلك في شعر الحصري، وصفه للسيف الذي يعد إحدى أدوات الشجاعة، وربطه لهذا الوصف بقدرة الله تعالى، ليشير بذلك إلى أن السيف لا يمكن أن ينال إلا من شاء الله أن ينهي أجله،. يقول الشاعر:

كأنّ سيوفك الأقدار تجري بما شاء الإله على العباد (Al-Marzūqī, 1973: 117)

هنا يكمن التأدب السلبي في الحفاظ على حرمة العقائد، فعلى الرغم من جودة سيف الممدوح إلا أنه لا يستطيع أن يتجاوز قدر الله، ولا يمكن أن يُقتل به إلا من يشاء أن يُقتل.
وقد تكرر التعبير عن حرمة العقائد لدى الشاعر، فقد أشار إلى أنه يحافظ على طهر حبيبه، وأنه لا يدنو منه ولا يلمسه إلا بطريقة شرعية، فقال:

الحب أعف ذويه أنا غيري بالباطل يفسده (Al-Marzūqī, 1973: 144)

هنا يظهر الشاعر حرمة عقيدته للمتلقي، فهو يمتاز عن غيره من العشاق، الذين يفسدون عذرية الحب، ولا يراعون الحدود الشرعية، بالتعفّف والعفاف مهما بلغ به الحب؛ لأن لديه حرمة دينية وثقافية لا تتغيّر مع تقلبات الظروف.

ومن صورة إظهار حرمة العقيدة لدى الشاعر، وصفه لنفسه بأنها تترفع عن اقتراف منكر (نبش القبر)؛ لأنه محرم دينا وخُلقا، فيقول:

أهمّ بنبش قبرك الطيب الثرى لعلّي أستشفي وإن حرّم النبش (Al-Marzūqī, 1973: 266)

يتجلى التأدب السلبي في تظاهر الشاعر بحفاظه على حرمة العقيدة والخُلق، إذ يشير إلى أن نبش قبر المحبوب محرّم دينا وخلقا، وهو بهذا التأدب السلبي يُشعر المتلقي بأن ارتكابه لجريمة النبش، ليس ناجما عن جهله بحكمه، ولكن الحب الجمّ الذي يكنّه للمحبوب هو ما يرغمه على ارتكابها.

7. **التهديد:**

وقد تجلت هذه القاعدة لدى الشاعر، من خلال ولوجه إلى المحبوب الظالم، وإنكاره لتصرفاته، فقال:

له مهجتي فليقض بالجور والعدل   لها وعليها وهي مني في حلّ (Al-Marzūqī, 1973: 111)

هنا يكمن التأدب السلبي في التهديد، حيث يجعل الشاعر المحبوب حرا في تصرفاته، فله أن يتصرّف في أحبابه كيفما يشاء، لكنه سيتلقى من إحسانه إليهم حسنا، ومن إساءته إليهم سيئا. فمثل هذا التأدب السلبي القائم على التهديد، من شأنه توجيه المحبوب إلى حسن التعامل مع أحبابه، وعدم تعريضهم لتذوق آلام البين والفراق..

الخاتمة :

لقد أسفر البحث حول ظاهرة التأدب في شعر الحصري عن النتائج الآتية:

برزت ملامح التأدب الإيجابي لدى الشاعر في قواعد عديدة منها: اللباقة، والكرم، والتشكك، والاستحسان، والتواضع، والتودد، والاتفاق، وقد تم إثراء جميع القواعد بمعاني تليق بها من وجهة نظر الباحث، وظهرت ملامح التأدب السلبي في قواعد مختلفة أيضا، منها: الطلب المباشرة، والاعتراض على الغير، والتهكم، الاعتراض والتهكم معا، والدفاع عن النفس، وتوجيه المتلقي إلى مراعاة حرمة الذات، وحرمة العقيدة، كما انجلت ملامح التأدب السلبي في التهديد أيضا. وعلى الرغم من اختلاف أغراض التأدب الإيجابي عن أغراض التأدب السلبي، إلا أنها كانت تتمثل أحيانا في بيت واحد، حيث بدا أن اعتراض الشاعر كان يُراد به أحيانا اللباقة وتوجيه المتلقي إلى اختيار ما هو أفضل له.

ولم تختلف ملامح ظاهرة التأدب لدى الشاعر كثيرا عما نجدها لدى الشعراء المبصرين، إذ تناول الشاعر كثيرا من القيم والقواعد المشتركة التي يراعيها الشعراء ويوظفونها في خطاباتهم على اختلاف مشاربهم وفئاتهم، ومع ذلك فقد امتازت ظاهرة التأدب لدى الشاعر الحصري الضرير بقيم متميزة ، فقد شغل البكاء –على سبيل المثال– حيزا واسعا في شعره، حيث وظّفه الشاعر للاعتراض على المتلقي والتهكم منه، وتوجيهه إلى التحلي بالوفاء والمواساة، كما وظّفه أيضا للثناء على ذاته، وتمييزه عن الشخصيات المنافقة، التي تدعي البكاء، وتنسى محبوبها بعد برهة من الزمن ، كما عدّ الشاعر البكاء رمزا للصداقة بينه وبين بعض الجمادات مثل الشمس والسماء. لذا فإن توظيف البكاء في شعر الشاعر –على هذا النحو– ينبئ عن ضعف الشاعر، وحاجته إلى مُساند كونه ضريرا، إذ إن البكاء يعدّ من أفضل الأسلحة التي يقتنيها الضعفاء للدفاع عن أنفسهم، وإبراز حاجتهم إلى شيء ما، كما لم يغب أثر الدين الإسلامي وثقافته عن قواعد التأدب في شعر شاعرنا، فقد كان الشاعر متمسكا بمبادئ الإسلام في كثير مما يورده مثل: العدل، والإنصاف، والحلم، والصبر، والإيمان بالقضاء والقدر، ومكافأة الشر بالحسنى، والعفاف، والمحافظة على العلاقة الشرعية بين المتحابين، وتحاشي اقتراف المنكرات، والاعتداد بالذات، وعدم

الاكتراث بالحساد، كما كان حريصا على توجيه المتلقي إلى التمثل بمبادئ الإسلام، مثل الإنصاف، والوفاء، والإخلاص، وحسن المعاملة، وقبول الحق والإذعان له.

المصادر والمراجع

المصادر

Al-Marzūqī, M. Y. (1963). *Abū al-Ḥasan al-Ḥuṣarī al-Qayrawānī : 'aṣruhu - ḥayātuhu - rasāʾiluhu - Diwān al-mutafarriqāt - Yā layl al-ṣabb - Diwān al-muʿaššarāt - Iqtirāḥ al-qarīḥ*. Tunis: Maktabaẗ al-Manār.

Al-Marzūqī, M. Y. (1973). *Alī Al-Ḥaṣrī: Al-Mašurāt Wā Iqtirāḥ Al-Qarīḥ Wā Iǧtirāḥ Al-Ǧarīḥ*. Tunis: Al-širkaẗ al-Tūnisīyaẗ liltauzīʿ.

والمراجع

Abdurrahman, T. (1998). *al-Lisān wa al-Mīzān al-Takūṯur al-'Aqlī*. Casablanca: al-Markaz al-Takafi al-arabi.

Al-Khuli, M. A. (2001). *'Ilm al-Dilālaẗ (ʿIlm Al-Ma'na)*. Oman: Dār al-Falāḥ.

Al-Shareti, S. (2011). *Fī 'Alāqaẗ al-Adab bi al-Lisānīyat: al-Sad li Maḥmūd al-Mas'adī miṯālā*. Dubai: Dar Al-Manhal Publishers.

Al-Thewni, H. B. (2016). Adab al-taẖāṭub mabadu'uhu wa qawāiduhu wa strātīǧīātuhu. *Majallah al-Ulum al-Insaniyah*, *23*(3). Diambil dari https://search.emarefa.net/detail/BIM-1291902

Al-Zirikali, K. (2002). *al-'A'lām Qāmūs Tarāǧim*. Beirut: Dar El Ilm Lilmalayin.

Ashour, F. (2016). *al-Talaṭuf fī al-Luġaẗ al-Arabiyaẗ*. University of Oum El Bouaghi.

Hassanein, S. S. (2011). *Fī Lisānīāt al-'Arabīyyaẗ*. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Husein, A. G. F., & Hussein, D. J. (2020). Mabādi' al-ta'adub fī ši'ir Aḥmd maṭar : dirāsaẗ tadāwuliyaẗ. *al-Adab Journal*, *2020*(133), 117–138.

Ibn al-Jazari, A. al-K. S. al-D. M. ibn M. ibn M. ibn A. (2006). *Ġāyaẗ al-nihāyaẗ fī ṭabaqāt al-qurrāʾ* (G. Bergsträsser, Ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyah.

Ibn Isa, A. H. (2019). Tadāūlīyaẗ mabda'a al-ta'adub fī inǧāzīyyaẗ al-fi'il al-kalāmī. *The Algerian Journal of Humanities*, *1*(1), 194–227.

Ibrahim, A.-B. A. al-M. al-S. (2009). *Abū al-Ḥasn al-Ḥaṣirī al-Qīrwānī ḥayātuhu wa ši'ruhu*. Omdurman Islamic University.

Kahhalah, U. R. (1957). *Mu'jam al Mu'allifin tarajim musannifiy al kutub al 'arabiyah* (Vol. 7). Kairo: Dar al-Ihya al-Turats al-Arabiyyah.

Meddour, M. (2015). Ẓāhiraẗ al-ta’dib fī kitāb “Adab al-dunyā wa al-dīn” lil Maouredī dirāsaẗ tadāwulīyyaẗ. *Elwahat Journal for Academic Research and Studies*, *8*(2), 1294–1312.

Mouloud, B. (2017). *Al-Lisāniyāt al-Tadāwūliyaẗ Wa Niẓām al-ẖiṭābaẗ*. Djillali Liabes University.

Ullmann, S. (1997). *Daūr al-Kalimaẗ fī al-Luġaẗ* (K. Basr, Penerj.). Cairo: Dar Ghareeb.

Youseef, B. Z. (2020). Qawā’id al-taẖāṭub fī al-lisānīyāt al-tadāūliyaẗ. *Majalla abhats*, *6*(2), 110–124.

This Page Is Intentionally Left Blank

تركت هذه الصفحة فارغة عمدا

'Halaman Ini Sengaja Dikosongkan'